

كَانَ شَابٌ ٥ فَلَاحٌ ، طَبَّبَ الْقَلْبَ ، يَعِيشُ مَعَ زَوْجَتِهِ سَعِيدَيْنِ فِي حَيَاتِهِمَا ، قَانِعَيْنِ بِمَا أُعْطَاهُمَا اللَّهُ ، أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِمَا ، مِنْ خَيْرٍ وَنِعْمَةٍ . وَلَمْ يَكُنْ يُكْدِرُ سَعَادَتُهُمَا ، وَيُنْقُصُ حَيَاتُهُمَا ، إِلَّا حِرْمَانُهُمَا الْأَطْفَالَ ، فَهُمَا لَمْ يُرْزَقَا طِفْلاً ، يَمْلَأُ قَلْبَيْهِمَا فَرَحاً ، فِي بَيْنِهِمَا الْبَهْجَةَ وَالسُّرُورَ . وَكَثِيرًا مَا دَعَتِ الزَّوْجَةُ اللَّهَ ، فِي صَلَوَاتِهَا ، أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهَا بِطِفْلٍ ، تَسْمَعُهُ وَهُوَ يُنَادِيهَا : يَا أُمِّي ، فَتَتِمَّ هَنَاءُهَا ، وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ ، انْتَهَى الْفَلَاحُ مِنْ عَمَلِهِ ، وَعَادَ إِلَى مَنْزِلِهِ ، وَمَعَهُ حُزْمَةٌ مِنَ الْعُطْبِ ، فَأَلْقَاهَا بِجَانِبِ الْحَائِطِ ، ثِيَابَهُ ، وَجَلَسَ يَتَنَاوَلُ طَعَامَ الْعِشَاءِ ، وَجَانِبِهِ زَوْجَتُهُ . وَبَعْدَ الْعِشَاءِ ، أَخَذَتِ الزَّوْجَةُ تُحَدِّثُ زَوْجَهَا ، وَتَقْصُّ عَلَيْهِ حُلُمًا رَأَتْهُ فِي نَوْمِهَا ، فَقَالَتْ : لَقَدْ حُلُمْتُ ، فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ ، أَنَّ اللَّهَ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - قَدْ اسْتَجَابَ لِدُعَائِي ، صَلَوَاتِي ، وَرَزَقَنَا طِفْلاً جَمِيعاً . وَحِينَمَا كَانَتْ تَقْصُّ عَلَى زَوْجِهَا حُلُمَهَا ، وَزَوْجُهَا يَسْتَمِعُ إِلَيْهَا فَرَحاً ، مُتَمَنِّياً أَنْ يَحَقِّقَ هَذَا الْحُلُمَ ، رَأَى الْأَتْنَانَ ثُعْبَاناً صَغِيراً ، كَانَ الشُّعْبَانُ صَغِيراً ، لَطِيفَ الْحَرَكَةِ ، فَلَمَّا رَأَى الزَّوْجَانِ ، سَكَنَّا عَنْ الْكَلَامِ ، وَجَعَلَا يَتَأَمَّلَانِ حَرَكَاتِهِ . ثُمَّ تَذَكَّرَتِ الزَّوْجَةُ حَالَهَا ، وَبَدَأَتْ تَبْكِي ، وَتَقُولُ لِزَوْجِهَا : . أَنْظُرْ . حَتَّى التَّعَابِينِ لَهَا صِغَارٌ ، أَمَا نَحْنُ فَلَيْسَ لَنَا أَطْفَالٌ . أَخَذَ الزَّوْجُ يُصَبِّرُ زَوْجَتَهُ وَيُسَلِّبُهَا ، وَهِيَ لَا تَكْفُ عَنْ الْبُكَاءِ . وَفَجْأَةً رَأَى الزَّوْجَانِ الثُّعْبَانَ الصَّغِيرَ ، يَقْتَرِبُ مِنْهُمَا ، وَيَرْفَعُ نَحْوَهُمَا رَأْسَهُ ، وَيَقُولُ بِصَوْتٍ جَمِيلٍ ، وَفِي لَفَةٍ صَحِيحَةٍ : لَا تَبْكِي ، يَا سَيِّدَتِي ، عَلَى أَنَّكَ لَمْ تَرْزُقِي أَطْفَالاً . خُذِينِي طِفْلاً لَكَ ، وَرَبِّنِي كَمَا تَرْبِي الْأُمُّ طِفْلَهَا ، وَأَنَا أُعِدُّكَ وَعِدّاً صَادِقاً ، أَنْ أَجْبِكَ ، وَأَنْ أَكُونَ بَاراً بِكَ ، وَبِزَوْجِكَ ، مُطِيعاً لَكُمْ . وَثَقِي - يَا سَيِّدَتِي - أَنَّكَ لَنْ تَنْدَمِي ، إِذَا فَعَلْتَ هَذَا . وَتَأْ كُذِّي أَنَّنِي سَارِدُ لَكَ الْجَمِيلِ ، تَرَبِّتِكَ ، وَعِنَايَتِكَ ، وَحَنَانِكَ ، ثُمَّ التَفَتَ الثُّعْبَانُ نَحْوَ الْفَلَاحِ ، وَقَالَ : وَأَنْتِ يَا سَيِّدَتِي تَأْكُمِ أَنَّكَ سَتَنَالُ الْخَيْرَ ، إِذَا تَبَيَّنَتِي ، عَجِبَ الزَّوْجَانِ لِحَدِيثِ الثُّعْبَانِ الصَّغِيرِ ، عَجَباً شَدِيداً ، وَلَمْ يَسْتَطِيعَا الْكَلَامَ ، لِشِدَّةِ دَهْشَتِهِمَا ، وَمَضَتْ فِتْرَةٌ مِنَ السُّكُوتِ ، كَانَ الثُّعْبَانُ فِي أَتْنَانِهَا ، يَتَقَدَّمُ جِهَةَ الزَّوْجَةِ ، فِي هُدُوءٍ وَخَوْفٍ ، حَتَّى صَارَ بِجَوَارِهَا ، فَوَقَفَ عَنِ الْحَرَكَةِ ، وَمَدَّ جَسَدَهُ الصَّغِيرَ ، وَرَفَعَ رَأْسَهُ . فَقَالَتْ الزَّوْجَةُ : أَيُّهَا الثُّعْبَانُ الصَّغِيرُ اللَّطِيفُ : يَسْرُنَا أَنْ تَتَّخِذَ وَلَداً لَنَا ، وَأَنْ تُرَبِّبَ الْآبَاءَ وَالْأُمَّهَاتُ أَطْفَالَهُمْ ، وَأَنْ نَعْتَبِي بِكَ ، وَنُحِبَّكَ ، كَأَنَّكَ ابْنُ حَقِيقِي لَنَا . ثُمَّ قَامَتْ فَحَمَلَتِ الثُّعْبَانَ ، وَنَظَفَتْهُ ، وَوَضَعَتْهُ فِي مَكَانٍ نَظِيفٍ . ثُمَّ صَنَعَتْ لَهُ فِرَاشاً لِنَا مِنْ قِطْعَةٍ خَرِيرٍ كَانَتْ عِنْدَهَا ، وَأَرْقَدَتْهُ فِي صَوَانِ الْمَلَابِسِ ، مَفْتُوحاً لِلتَّهْوِيَةِ ، حَتَّى لَا يَمُوتَ . وَفِي كُلِّ يَوْمٍ كَانَتْ الزَّوْجَةُ تَقْدِمُ لِلثُّعْبَانِ أَحْسَنَ مَا عِنْدَهَا . مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، فِي آيَةٍ خَاصَّةٍ ، وَفِي مَوَاعِيدِ الْفُطُورِ وَالْغَدَاءِ وَالْعِشَاءِ ، وَاعْتَنَتْ بِهِ كُلَّ عِنَايَةٍ ، كَمَا تَهْتَمُّ الْأُمُّ بِطِفْلِهَا الصَّغِيرِ . نَمَا الثُّعْبَانُ وَكَبُرَ ، وَصَارَ ضِعْفاً ، أَضْحَخَ مِنْ أَيِّ ثُعْبَانٍ رَأَى الْفَلَاحُ وَزَوْجَتُهُ . وَكَانَ يَرْحَفُ إِلَى حَبِيقَةِ الْمَنْزِلِ ، فِي النَّهَارِ ، وَيَعُودُ إِلَى مَكَانِهِ فِي مَوَاعِيدِ الطَّعَامِ ، كَأَنَّهُ إِنْسَانٌ مُنَظَّمٌ دَقِيقٌ . فَإِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ ، دَخَلَ الصَّوَانُ ، وَكَانَ يُخَاطِبُ الْفَلَاحَ بِقَوْلِهِ : يَا أَبِي ، وَيُخَاطِبُ الْفَلَاحَةَ بِقَوْلِهِ : يَا أُمِّي . وَإِذَا احْتِاجَ إِلَى شَيْءٍ ، وَأَدَبَ ، وَإِذَا شَكَ شَيْئاً ذَكَرَهُ لَهَا فِي رِقَّةٍ وَلُطْفٍ . وَالْفَلَاحُ وَزَوْجَتُهُ وَالثُّعْبَانُ ، يَعِيشُونَ كَأَنَّهُمْ أُسْرَةٌ وَاحِدَةٌ وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ قَالَ الثُّعْبَانُ لِأَبِيهِ : أَبِي : إِنِّي قَدْ كَبُرْتُ ، وَأَصْبَحْتُ شَاباً ، أُرِيدُ أَنْ أَتَزَوَّجَ . قَالَ الْفَلَاحُ : هَذَا رَأْيِي جَمِيلٌ . وَسَأُبْحَثُ فِي الْحَقْلِ عَنْ رَفِيقَةٍ لَكَ ، مِنْ بَنَاتِ جَنْسِكَ ، لِتَكُونَ زَوْجَةً لَكَ ، فِي حَيَاتِكَ ، حُلُومًا وَمُرَهَا . قَالَ الثُّعْبَانُ : لَا ، يَا أَبِي ، الشُّعَابِينِ ، فَإِنَّهَا لَا تَصْلُحُ لِي ، وَلَا أَصْلُحُ لَهَا . وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ أَتَزَوَّجَ الْأَمِيرَةَ الْجَمِيلَةَ ، بِنْتَ السُّلْطَانِ الْعَظِيمِ ، فَادْهَبْ إِلَى الْعَاصِمَةِ ، وَأَسْأَلْ عَنْ قَصْرِ السُّلْطَانِ ، ثُمَّ أَطْلُبِ الْإِذْنَ فِي مُقَابَلَتِهِ ، وَحِينَمَا يُسَمِّحُ لَكَ بِالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ ، أَذْكَرُ لَهُ رَغْبَتِي وَأُمْنِيَّتِي ، وَقُلْ لَهُ : إِنَّ عِنْدِي ثُعْبَاناً كَبِيراً ، يَتَمَنَّى أَنْ يَتَزَوَّجَ ابْنَتَكَ الْأَمِيرَةَ . وَكَانَ الْفَلَاحُ امراً سَادِجَ الْقَلْبِ ، فَتَقَدَّرَ أَمْرُ الثُّعْبَانِ ، وَسَافَرَ إِلَى الْعَاصِمَةِ ، وَبَحَثَ حَتَّى عَرَفَ قَصْرَ السُّلْطَانِ ، وَطَلَّبَ الْإِذْنَ فِي مُقَابَلَتِهِ ، لِأَمْرِهِ هَامٍ ، فَلَمَّا سُمِحَ لَهُ ، وَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، قَالَ لَهُ : سَيِّدِي السُّلْطَانُ الْعَظِيمُ : إِنَّ فِي بَيْتِي ثُعْبَاناً كَبِيراً ، قَدْ رَبَّيْتُهُ مِنْذُ صِغَرِهِ ، وَهُوَ يَرْجُو أَنْ يَتَزَوَّجَ الْأَمِيرَةَ ابْنَتَكُمْ . وَقَدْ أَنَابَنِي عَنْهُ فِي أَنْ أَخْطِبَهَا ، لِتَكُونَ زَوْجَةً لَهُ . غَرِيبٌ ، يَنْكَلِمُ كَمَا يَنْكَلِمُ الْإِنْسَانُ ، الْإِنْسَانُ ، وَلَوْ أَنَّهُ عَلَى صُورَةِ ثُعْبَانٍ . رَأَى السُّلْطَانُ أَنَّ الرَّجُلَ وَقَالَ لَهُ : ارْجِعْ إِلَى مَنْزِلِكَ ، وَأَخْبِرِ الثُّعْبَانَ أَنَّنِي مُسْتَعِدٌّ أَنْ يُحَوِّلَ جَمِيعَ الْجَمَارِ ، حَدِيقَةَ قَصْرِي ، إِلَى ذَهَبٍ . ثُمَّ أَخْرَجَ الْفَلَاحُ ، وَعَدَّ السُّلْطَانُ هَذَا الْكَلَامَ كُلَّهُ مُزَاحاً ، وَلَمْ يَفَكِّرْ فِي الْأَمْرِ بَعْدَ ذَلِكَ . رَجَعَ الْفَلَاحُ إِلَى بَيْتِهِ ، وَأَخْبَرَ الثُّعْبَانَ بِرِسَالَةِ السُّلْطَانِ ، وَرِضَائِهِ عَنِ الزَّوْاجِ ، إِذَا حَوَّلَ لَهُ الثُّعْبَانُ ثِمَارَ الْحَدِيقَةِ إِلَى ذَهَبٍ . فَقَالَ لَهُ الثُّعْبَانُ : أَرْجُو أَنْ تَخْرُجَ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ غَدًا ، وَتَلْتَقِطَ مِنَ الْحَدِيقَةِ مَا تَجِدُهُ مِنْ بُدُورِ الْفَوَاكِهِ ، وَجُدُورِهَا ، وَعِيدَانِهَا الَّتِي تَصْلُحُ لِلْفَرَسِ وَالزَّرَاعَةِ ، ثُمَّ خُذْهَا إِلَى حَدِيقَةِ السُّلْطَانِ ، وَابْذُرْ فِيهَا مَا وَجَدْتَهُ مِنَ الْبُدُورِ ، مِنَ الْجُدُورِ وَالْعِيدَانِ ، وَسَتَجِدُ بَعْدَ ذَلِكَ الْعَجَبَ الْعَجَابَ . فَقَالَ الْفَلَاحُ : سَأَبْدُلُ كُلَّ جُهْدِي ، وَأَعْمَلُ مَا فِي وَسْئِي ، وَفِي الْفَجْرِ أَسْتَقِظُ ، وَحَمَلْتُ سَلَّةً كَبِيرَةً فِي يَدِي ، وَذَهَبْتُ إِلَى الْحَدِيقَةِ ، وَأَخَذْتُ يَلْتَقِطُ كُلَّ مَا يَجِدُهُ ، مِنَ الْبُدُورِ وَالْجُدُورِ ، وَكُلَّ مَا يَصْلُحُ لِلْفَرَسِ ، مِنَ فُرُوعِ الْفَوَاكِهِ ، حَتَّى مَلَأَ السَّلَّةَ ، فَحَمَلَهَا فِي يَدِهِ ، وَذَهَبَ بِهَا إِلَى حَدِيقَةِ السُّلْطَانِ ، وَزَرَعَ فِيهَا مَا أَحْضَرَهُ مَعَهُ ، مِنَ نَوَى الْمَشْمِ وَالْخَوْخِ وَالْمَانْجُو ، وَأَلْقَى مَا مَعَهُ مِنَ الْبُدُورِ ، وَغَرَسَ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْجُدُورِ وَالْعِيدَانِ ، كَمَا وَصَّاهُ الثُّعْبَانُ . وَلَمْ يَكْدُ يَنْتَهِي مِنَ الْغَرَسِ وَالزَّرَاعَةِ ، الْحَدِيقَةِ كُلِّهَا ، قَدْ تَحَوَّلَتْ سَيِّقَانُهَا ، وَأَغْصَانُهَا ، وَقُرُوعُهَا ، وَأُورَاقُهَا ، وَثِمَارُهَا ، وَفَوَاكِهُهَا ، إِلَى

ذَهَبٍ لَامِعٍ بَرَّاقٍ . فَوَقَفَ الْفَلَّاحُ ، وَنَظَرَ إِلَيْهَا ، وَهُوَ فِي غَايَةِ الْحَيْرَةِ وَالْدَّهْشَةِ ؛ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْبَيْتِ مُسْرِعًا ، لِيُخْبِرَ التَّعْبَانَ بِمَا حَدَثَ ، وَنَزَلَ السُّلْطَانُ إِلَى حَدِيقَةِ قَصْرِهِ ، لِيَقْضِيَ فِيهَا بَعْضَ الْوَقْتِ ، فَرَأَى مَنْظَرًا عَجِيبًا : شَاهِدَ الْأَشْجَارِ ، وَالْفَوَاكِهِ الَّتِي بِالْحَدِيقَةِ قَدْ تَحَوَّلَتْ كُلُّهَا إِلَى أَشْجَارٍ مِنَ الذَّهَبِ ، وَفَوَارِكَةٍ مِنَ الذَّهَبِ ، وَأَزْهَارٍ مِنَ الذَّهَبِ ، فَلَمْ يُصَدِّقْ عَيْنَيْهِ ، فَنَظَرَ مَرَّةً ثَانِيَةً ، وَمَرَّةً ثَالِثَةً ، نَظْرَةً فَاحْصَةً ، لِيَتَأَكَّدَ وَيَتَحَقَّقَ مِمَّا يَرَى ، وَقَدْ تَأَكَّدَ وَتَثَبَّتْ مِمَّا رَأَاهُ ، وَعَلِمَ عِلْمَ الْيَقِينِ ، أَنَّ الْحَدِيقَةَ كُلُّهَا قَدْ تَحَوَّلَتْ حَقًّا إِلَى ذَهَبٍ ، وَأَخَذَ يَسْأَلُ نَفْسَهُ ، فِي نَفْسِهِ : إِنْ هَذَا لَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مِنْ عَمَلِ الْفَلَّاحِ ، الْفَقِيرِ ، الْمُسْكِينِ ، وَبَعْدَ هَذَا ، أَرْسَلَ التَّعْبَانُ الْفَلَّاحَ إِلَى السُّلْطَانِ ، يَسْأَلُهُ الْوَفَاءَ بِوَعْدِهِ ، الَّذِي وَعَدَهُ ، التَّعْبَانُ الْأَمِيرَةَ ، بَعْدَ أَنْ تَحَوَّلَتْ الْحَدِيقَةُ إِلَى ذَهَبٍ فَأَجَابَ السُّلْطَانُ : إِنِّي أَنْتَظِرُ قَلِيلًا ؛ فَلَيْسَ الْأَمْرُ سَهْلًا كَمَا تَظُنُّ . وَإِذَا أَرَادَ التَّعْبَانُ حَقًّا أَنْ تُحَقِّقَ رَغْبَتَهُ ، وَيَتَزَوَّجَ ابْنَتِي الْأَمِيرَةَ ، وَجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يُعْطِيَ أَرْضَ الْقَصْرِ كُلُّهَا ، بِطَبَقَةٍ مِنَ الذَّهَبِ . وَجِبَ أَنْ يُنْقِذَ هَذَا قَبْلَ أَنْ أَسْمَحَ لِابْنَتِي ، وَهِيَ أَمِيرَةٌ مِنْ أَحْسَنِ الْأَمِيرَاتِ ، رَجَعَ الْفَلَّاحُ إِلَى التَّعْبَانِ ، السُّلْطَانِ ، لِيَلَّا يَغْضَبَ وَيَشْتَدَّ غَضَبُهُ ، وَلَكِنَّهُ اضْطُرَّ فِي النَّهَايَةِ ، أَنْ يَذْكُرَ لِلشُّعْبَانِ مَا قَالَهُ السُّلْطَانُ . فَقَالَ لَهُ التَّعْبَانُ : إِذْهَبْ مَرَّةً أُخْرَى إِلَى الْحَقْلِ ، وَأَجْمَعْ حُزْمَةً مِنَ الْأَعْشَابِ الْخَضِرَاءِ ، وَاجْعَلْهَا بِشَكْلِ مِكْنَسَةٍ ، ثُمَّ اذْهَبْ إِلَى قَصْرِ السُّلْطَانِ ، وَاكْثُرْ بِهَا أَرْضَ الْقَصْرِ حُجْرَةً حُجْرَةً ، وَطَبَقَةً طَبَقَةً ، وَلَا تَتْرَكَ شَيْئًا مِنَ الْقَصْرِ دُونَ أَنْ تَكْتَسُهُ بِهَذِهِ الْمِكْنَسَةِ ، وَسَتَرَى بَعْدَ ذَلِكَ الْعَجَبَ الْعَجَابَ ، وَسَيَجِدُ السُّلْطَانُ فِي قَصْرِهِ ، طَبَقَةً مِنَ الذَّهَبِ فِي كُلِّ مَكَانٍ . جَرَى الْفَلَّاحُ إِلَى الْحَقْلِ ، وَجَمَعَ أَحْسَنَ الْأَعْشَابِ الْخَضِرَاءِ ، وَكَوَّنَ مِنْهَا حُزْمَةً ، وَرَبَطَهَا ، وَجَعَلَ مِنْهَا مِكْنَسَةً خَضِرَاءَ ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الْقَصْرِ ، وَاسْتَأْذَنَ فِي أَنْ يُسَمِّحَ لَهُ بِكَسِّ الْقَصْرِ ، مِنْ أَعْلَاهُ إِلَى أَسْفَلِهِ ، بِهَذِهِ الْمِكْنَةِ ، فَأُذِنَ لَهُ . وَبَدَأَ يَكْنَسُ حُجَرَاتِ الْقَصْرِ ، وَكُلَّمَا كَنَسَ حُجْرَةً مِنْهَا ، تَحَوَّلَتْ أَرْضُهَا إِلَى طَبَقَةٍ كَثِيفَةٍ مِنَ الذَّهَبِ ، ذَهَبِي بَرَّاقٍ . وَبَعْدَ أَنْ أُنْتَهَى مِنَ الدَّوْرِ الْأَوَّلِ ، أُنْتَقَلَ إِلَى الدَّوْرِ الثَّانِي ، ثُمَّ الثَّالِثِ ، حَتَّى كَنَسَ الْقَصْرَ كُلَّهُ بِهَذِهِ الْمِكْنَسَةِ الْعَجِيبَةِ ، فَصَارَتْ أَرْضُهُ كُلُّهَا طَبَقَاتٍ كَثِيفَةً ذَهَبِيَّةً . وَبَعْدَ ذَلِكَ قَابَلَ الْفَلَّاحُ السُّلْطَانَ ، نَائِبًا عَنِ الشُّعْبَانِ ، يَغِي بِوَعْدِهِ ، وَيَسْمَحُ بِأَنْ تَتَزَوَّجَ الْأَمِيرَةُ الْجَمِيلَةُ الشُّعْبَانِ ، بِأَنْ تَتَزَوَّجَ الْأَمِيرُ بَعْدَ أَنْ تَحَقَّقَتْ رَغْبَةُ السُّلْطَانِ وَأُمْنِيَّتُهُ ، وَتَحَوَّلَتْ أَرْضُ الْقَصْرِ كُلُّهَا ، إِلَى طَبَقَاتٍ ذَهَبِيَّةٍ بَرَّاقَةٍ . وَلَمْ يَسْتَطِعِ السُّلْطَانُ أَنْ يَطْلُبَ مِنْهُ شَيْئًا آخَرَ ، فَقَالَ لَهُ : لَقَدْ قَبِلْتُ أَنْ تَتَزَوَّجَ ابْنَتِي التَّعْبَانِ الَّذِي رَبَّيْتَهُ ، وَحَدَّثْتَنِي عَنْهُ ، وَلَكِنْ أَمَامَ التَّعْبَانِ صُعُوبَةٌ أُخْرَى هِيَ أَنْ تَرْضَى ابْنَتِي أَنْ تَتَزَوَّجَهُ . طَلَبَ السُّلْطَانُ ابْنَتَهُ الْأَمِيرَةَ ، وَقَالَ لَهَا : ابْنَتِي الْعَزِيزَةُ الْغَالِيَةُ ، لَقَدْ وَعَدْتُ أَبُوكَ وَعَدًا طَائِشًا ، غَيْرَ مَعْفُولٍ ، وَعَدًا بَعِيدًا عَنِ الْحِكْمَةِ ، وَقَدْ أَسْرَعَ فِي الْوَعْدِ ، وَلَكِنَّهُ وَعَدٌ عَلَى أَيِّ حَالٍ . وَجِبَ أَنْ تُقْبِذَهُ ، وَأَقْبِي بِهِ . وَأَمْلِي كَبِيرٌ فِي أَنْ تُنْفِذِي وَعْدَ أَبِيكَ ، وَتَنِي بِهِ ، حَتَّى لَا يَقَالَ : إِنَّ سُلْطَانَ الْبِلَادِ أَخْلَفَ وَعْدَهُ ، وَلَمْ يَفِ بِهِ . وَخُلِفَ الْوَعْدُ عِنْدِي رَذِيلَةً ، لَا يَجُوزُ أَنْ يَتَّصِفَ بِهَا إِنْسَانٌ . فَقَالَتِ الْأَمِيرَةُ إِنِّي يَا أَبِي طَوْعُ إِرَادَتِكَ . وَإِنْ أَوْامِرَكَ لَنَافِدَةً ، وَلَوْ كَانَ فِيهَا مَوْتِي أَوْ هَلَاقِي . وَسَأَفْعَلُ كُلَّ مَا تَأْمُرُنِي بِهِ . فَأَمُرُ بِمَا تَشَاءُ ، وَسَأَنْفِذُ أَمْرَكَ فِي الْحَالِ ، وَلَكِنْ أَتَرَدَّدُ . فَقَالَ السُّلْطَانُ : إِنِّي أُحِبُّ أَنْ تَتَزَوَّجِي مِنْ اخْتَرْتَهُ زَوْجًا لَكَ . فَأَخْنَتُ رَأْسَهَا طَاعَةً لِأَبِيهَا ، وَوَعَدَتْ أَنْ تُحَقِّقَ رَغْبَتَهُ ، وَتَتَزَوَّجَ مِنْ اخْتَارَهُ زَوْجًا لَهَا ، وَشَرِيكًَا فِي حَيَاتِهَا الْمُقْبِلَةِ . تُعْبَانًا لَا إِنْسَانًا . وَعَدَتْ الْأَمِيرَةُ أَبَاهَا أَنْ تَتَزَوَّجَ مِنْ اخْتَارَهُ لَهَا ، فَأَرْسَلَ السُّلْطَانُ الْفَلَّاحَ لِإِحْضَارِ التَّعْبَانِ إِلَى الْقَصْرِ ، الْأَمِيرَةَ خَطِيبَهَا ، وَزَوْجَهَا الْمُنتَظَرَ ، وَشَرِيكَهَا فِي الْحَيَاةِ . وَبَعْدَ سَاعَةٍ حَضَرَ الشُّعْبَانُ رَاكِبًا عَرَبِيًّا ، مَصْنُوعَةً مِنَ الذَّهَبِ ، يَجْرُهَا أَرْبَعَةُ أَفْيَالٍ . وَحِينَمَا مَرَّتِ الْعَرَبَةُ الذَّهَبِيَّةُ ، الْمَدِينَةَ ، هَرَبَ النَّاسُ خَوْفًا وَفَزَعًا ، الَّذِي يَجْلِسُ فِي دَاخِلِهَا ، وَصَلَتْ الْعَرَبَةُ الذَّهَبِيَّةُ إِلَى الْقَصْرِ ، وَفِيهَا تَعْبَانٌ مُخِيفٌ ، وَمَعَهُ الْفَلَّاحُ ، وَرَجَالُ الْقَصْرِ ، وَخَافُوا خَوْفًا شَدِيدًا ، وَهَرَبُوا جَمِيعًا . أَمَّا السُّلْطَانُ وَالسُّلْطَانَةُ ، فَقَدْ جَرَّيَا إِلَى غُرْفَةِ الْأَمِيرَةِ ، وَطَلَبَا مِنْهَا أَنْ تَهْرَبَ مَعَهُمَا ، مِنْ هَذَا الشُّعْبَانِ الْوَحْشِ ، وَقَالَ لَهَا السُّلْطَانُ : هِيََا تَهْرَبِي ، يَا ابْنَتِي الْعَزِيزَةُ . هِيََا . جِبَ أَنْ نَخْتَنِي مِنْ هُنَا ، قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ هَذَا التَّعْبَانُ ، الْبَشْعُ الْفَظِيعُ . قَالَتِ الْأَمِيرَةُ : لَا يَا أَبِي ، لَنْ أَفِرَ ، وَلَنْ أَهْرُبَ ، فَأَنَا قَدْ وَعَدْتُكَ ، بِأَنْ أَتَزَوَّجَ مِنْ اخْتَرْتَهُ لِي ، وَأَنْتَ قَدْ وَعَدْتَ التَّعْبَانَ بِأَنْ يَتَزَوَّجَنِي ، وَعَدًا وَأَخْلَفَا وَعْدَهُمَا . فَهَذَا عَارٌ لَا أَحْتَمِلُهُ ، مِنْ الْقَصْرِ ، وَأَغْلَقَا بَابَهَا عَلَيْهِمَا . وَبَعْدَ لَحْظَاتٍ ذَهَبَ التَّعْبَانُ إِلَى حُجْرَةِ الْأَمِيرَةِ ، وَاسْتَأْذَنَ وَدَخَلَ ، فَرَأَاهَا وَاقِفَةً ثَابِتَةً هَادِيَةً ، لَا يَبْدُو الْخَوْفَ عَلَى مَظْهَرِهَا ، وَلَا الْفَزَعَ عَلَى وَجْهِهَا . وَرَأَاهَا تَنْحَنِي تَحِيَّةً لَهُ ، نَظَرَ التَّعْبَانُ إِلَيْهَا نَظْرَةً كُلُّهَا إِعْجَابٌ وَتَفْذِيرٌ ، فَهُوَ مُعْجَبٌ بِهَدُونِهَا وَتَبَاتِهَا ، فِي هَذَا الْمَوْقِفِ الْمُخِيفِ ، مُعْجَبٌ بِضَبْطِ عَوَاطِفِهَا ، مُقَدِّرٌ لَوَفَائِهَا بِوَعْدِهَا ، وَمُحَافَظَتِهَا عَلَى عَهْدِهَا ، وَتَأَثَّرَ بِرِضَائِهَا بِهِ كُلَّ التَّأَثَّرِ ، مَعَ أَنَّهُ تَعْبَانٌ ، شَكْلُهُ مُخِيفٌ ، وَهِيَ أَمِيرَةٌ فَائِزَةٌ الْجَمَالَ ، فَأَجَابَتْهُ : نَعَمْ ، وَفِي اللَّحْظَةِ الَّتِي نَطَقَتْ بِهَذِهِ الْجُمْلَةِ ، تَحَوَّلَ التَّعْبَانُ الْمُخِيفُ الْقَبِيحُ الْمَنْظَرُ ، إِلَى شَابٍّ جَمِيلٍ ، حَسَنِ الْهَنْدَامِ ، مُبْتَسِمِ أَلَمٍ ، أَزْرَقِ الْعَيْنَيْنِ ، أَسْوَدَ الشَّعْرِ ، الرَّجُولَةِ ، وَالشَّجَاعَةِ وَالشَّهَامَةِ . سَمِعَ السُّلْطَانُ ، وَهُوَ مُخْتَفٍ مَعَ السُّلْطَانَةِ ، فِي الطَّبَقَةِ الْعُلْيَا مِنَ الْقَصْرِ ، أَنَّ التَّعْبَانَ الْكَبِيرَ ، حُجِرَتْهَا ، فَقَالَ لِلْسُّلْطَانَةِ بِصَوْتٍ مُرْتَفِعٍ : وَآ أَسْفَاهُ : وَآ حُزْنَاهُ : إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ التَّعْبَانُ قَتَلَ ابْنَتَنَا الْعَزِيزَةَ الْوَحِيدَةَ . لَقَدْ قَضَيْتُ عَلَيْهَا وَقَتْلَتْنَاهَا ، بِطَمَعِي ، وَجَشْعِي ، وَشَرَاهَتِي ، وَمَحَبَّتِي لِلذَّهَبِ ، وَتَفْكِيرِي فِي الْغِنَى ، شَيْءٍ آخَرَ سِوَى الذَّهَبِ . ثُمَّ خَرَجَ السُّلْطَانُ وَالسُّلْطَانَةُ ، مِنَ الْحُجْرَةِ

العُلْبَا ، الَّتِي اخْتَفَا فِيهَا ، وَذَهَبَا إِلَى حُجْرَةِ الْأَمِيرَةِ ، الَّتِي دَخَلَهَا التُّعْبَانُ ، فَوَجَدَا الْحُجْرَةَ مُعَلَّقَةً عَلَيْهِمَا فَظَنَرَ السُّلْطَانُ وَالسُّلْطَانَةُ مِنَ النَّافِذَةِ ، فَلَمْ يَجِدَا مَعَ الْأَمِيرَةِ تَعْبَانًا ، وَإِنَّمَا رَأَيَا شَابًا ، صَحِيحَ الْجِسْمِ ، رَائِعَ الْجَمَالِ ، تَطَهَّرَ عَلَيْهِ الْقُوَّةُ وَالشَّجَاعَةُ . وَرَأَيَا جِلْدَ التُّعْبَانِ مُلْقَى فِي رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْحُجْرَةِ فَعَجِبَا كُلُّ الْعَجَبِ ، وَأَذْرَكَ أَنَّ فِي سِرٍّ . فَرِحَ السُّلْطَانُ وَالسُّلْطَانَةُ فَرَحًا لَا يُقَدَّرُ ، حِينَمَا رَأَيَا ابْنَتَهُمَا لَمْ تُصَبِّ بِسُوءٍ ، وَطَرَقَا بَابَ الْحُجْرَةِ ، يَهْتَانِ خَطِيئَتَهَا ، الَّذِي قَصَرَ عَلَيْهِمَا قِصَّتَهُ ، سَاخِرَةً مَارِكِرَةً ، إِلَى شَكْلِ تَعْبَانٍ ، وَهُوَ أَمِيرٌ ، كَثِيرًا ، وَلَكِنَّ الْفَرَحَ لَمْ يَبْقَ طَوِيلًا ، لَنْ تَصِيرَ تَعْبَانًا مَرَّةً أُخْرَى وَالْقَلْبُ الْجِلْدُ فِي النَّارِ ، إِلَيْهَا الْأَمِيرُ نَظَرَةً كُلَّهَا حُزْنٌ وَالْأَلَمُ ، وَقَالَ : إِنَّكَ لَا تَعْلَمِينَ مَاذَا فَعَلْتُ ، وَعَلَى أَيِّ خَطَرٍ أَقْدَمْتُ . وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي تَمَّ فِيهِ حَرْقُ جِلْدِ التُّعْبَانِ ، تَحَوَّلَ الْأَمِيرُ الْمُسْكِينُ ، إِلَى طَائِرٍ أَبْيَضَ حَزِينٍ ، وَبَدَأَ يَطِيرُ إِلَى نَافِذَةٍ قَدْ أُغْلِقَ زُجَاجُهَا ، فَكَسَرَ زُجَاجَ النَّافِذَةِ بِقُوَّتِهِ ، وَجَرَحَ نَفْسَهُ ، وَخَرَجَ مِنَ النَّافِذَةِ ، وَطَارَ بَعِيدًا فِي السَّمَاءِ . وَرَأَى السُّلْطَانُ وَالسُّلْطَانَةُ وَالْأَمِيرَةَ ، تَسَاقَطَ فَوْقَ رِيشِهِ الْأَبْيَضِ . وَجَرَتْ الْأَمِيرَةُ إِلَى النَّافِذَةِ ، وَنَظَرَتْ إِلَى الطَّائِرِ الْجَرِيحِ الْمُسْكِينِ ، وَهُوَ يَطِيرُ ، النَّظَرَ فِي السَّمَاءِ الزَّرْقَاءِ . فَمَدَّتْ الْأَمِيرَةُ ذِرَاعَيْهَا إِلَى السَّمَاءِ ، تَطْلُبُ لَهُ مِنَ اللَّهِ النِّجَاةَ . وَبَدَأَتْ تَبْكِي بُكَاءً مَرًّا ، وَحَاوَلَتْ أَبَوَاهَا أَنْ يُسَكِّتَاهَا ، وَيُسَلِّتَاهَا ، وَيُنْصَحَا لَهَا بِالصَّبْرِ . وَلَكِنْ بُكَاءُهَا كَانَ يَسْتَهْ ، وَحُزْنُهَا كَانَ يَزِيدُ ، أَقْبَلَ اللَّيْلُ ، وَذَهَبَ كُلُّ فَرْدٍ فِي الْقَصْرِ إِلَى فِرَاشِهِ ، إِلَّا الْأَمِيرَةَ ، فَإِنَّهَا لَبِسَتْ مَلَابِسَهَا ، وَتَرَكَتْ حُجْرَتَهَا ، وَذَهَبَتْ إِلَى أَبِيهَا وَأُمِّهَا ، تَسْتَأذِنُهُمَا فِي الْخُرُوجِ ، صَمَّمَتِ الْأَمِيرَةُ عَلَى أَنْ تَبْحَثَ فِي أَنْحَاءِ الْعَالَمِ ، حَتَّى تَجِدَ خَطِيئَتَهَا الْأَمِيرُ الْمُسْكِينِ ، الَّذِي وَعَدَتْ أَنْ تَنْزَوِجَهُ . خَرَجَتِ الْأَمِيرَةُ مِنَ الْقَصْرِ وَحْدَهَا ، بِمُصَاحِبَتَيْهَا ، وَمُرَافَقَتَيْهَا ، لِلْبَحْثِ مَعَهَا ، وَتَرَكَتْ الْمَدِينَةَ وَسَارَتْ ، حَتَّى وَصَلَتْ إِلَى غَايَةِ كَبِيرَةٍ ، فَدَخَلَتْهَا ، وَاسْتَمَرَّتْ سَائِرَةً فِيهَا ، حَتَّى قَابَلَهَا تَعْلُبٌ ، فَقَالَتْ لِحَالِهَا ، لَمَّا رَأَاهَا حَزِينَةً بَاكِئَةً الْعَيْنَ ، وَعَرَضَ عَلَيْهَا اسْتِعْدَادَهُ لِمُسَاعَدَتِهَا ، بَأَنْ يُرْشِدَهَا إِلَى الطَّرِيقِ فِي الْغَايَةِ ؛ لِأَنَّهَا وَحْدَهَا ، فَشَكَرَتْ الْأَمِيرَةُ لِلتَّعْلُبِ شُعُورَهُ النَّبِيلَ ، وَرَضِيَتْ بِذَهَابِهِ مَعَهَا لِإِرْشَادِهَا . وَسَارَا مَعًا فِي الْغَايَةِ لَيْلًا . وَلِحُسْنِ حَظِّهَا كَانَتْ اللَّيْلَةُ مُقْمِرَةً ، وَكَانَ ضَوْؤُ الْقَمَرِ سَاطِعًا فِي كُلِّ مَكَانٍ . وَبَعْدَ مَدَّةٍ تَعَبَتْ الْأَمِيرَةُ مِنَ الْمَشْيِ ، وَأَشْتَدَّ بِهَا التَّعَبُ ، وَاضْطُرَّتْ إِلَى أَنْ تَجْلِسَ عَلَى الْحَشِيشِ الْأَخْضَرِ الرَّطْبِ ، تَحْتَ أَشْجَارِ الْغَايَةِ ، لِنَسْتَرِيحٍ مِنَ التَّعَبِ ، ثُمَّ تَقُومُ وَتَكْمَلُ رِحْلَتَهَا ، وَبَحْثَهَا عَنْ خَطِيئَتِهَا الْمُسْكِينِ . وَجَلَسَ التَّعْلُبُ قَرِيبًا مِنْهَا ، لِيَحْرُسَهَا مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الْمُتَوَحِّشَةِ . وَلِشِدَّةِ تَعَبِهَا غَلَبَهَا النَّوْمُ ، وَلَمْ تَسْتَطِعْ مُقَاوَمَتَهُ ، فَنَامَتْ نَوْمًا عَمِيقًا ، مِنَ النَّوْمِ ، حَتَّى سَمِعَتْ الطَّيُورَ عَلَى الشَّجَرَةِ ، بِصَوْتِ جَمِيلٍ ، لَمْ تَسْمَعْهُ مِنْ قَبْلُ ، تَفْهَمِينَ يَا سَيِّدَتِي مَا تَقُولُهُ هَذِهِ الطَّيُورُ ؟ فَأَجَابَتْ الْأَمِيرَةُ : لَا ، إِنِّي لَا أَفْهَمُ لُغَةَ الطَّيُورِ ، أَحَبُّ صَوْتِهَا الْعَذَبُ ، وَعِنَاءُهَا الْجَمِيلُ . أَمَّا التَّعْلُبُ فَقَدْ فَهَمَ مَا تَقُولُ ، فَبَدَأَ يَشْرَحُ لِلْأَمِيرَةِ ، بِلُغَةٍ هَادِئَةٍ بَطِيئَةٍ ، مَا تَقْصِدُهُ الطَّيُورُ مِنْ غِنَائِهَا ، وَيُفَسِّرُ لَهَا مَعْنَى أَغْنِيَتِهَا ، وَيُبَيِّنُ لَهَا أَنَّ هَذِهِ الطَّيُورَ ، تَتَحَدَّثُ عَنْ أَمِيرٍ مَسْحُورٍ ، قَدْ مَسَحَ مِنْ قَبْلُ ، بِتَأْثِيرِ السَّحَرِ ، فَتَحَوَّلَ إِلَى شَكْلِ تَعْبَانٍ ، خَ وَعَاشَ كَمَا يَعِيشُ التُّعْبَانُ ، ثُمَّ عَنِيَتْ بِتَرْيِيهِ سَيِّدَةٍ فَلَاحَةٍ ، وَاتَّخَذَتْهُ مِثْلَ طِفْلِ لَهَا ، وَتَبَنَاهُ زَوْجَهَا ، وَاسْتَمَرَّ عِنْدَهُمَا عَشْرَ سَنَوَاتٍ ، وَقَدْ انْقَضَتْ هَذِهِ السَّنَوَاتُ الْعَشْرُ ، سَنَةً بَعْدَ أُخْرَى ، حَتَّى كَبُرَ ، وَأَحَبَّ أَمِيرَةً مِنَ الْأَمِيرَاتِ ، وَأَرَادَ أَنْ يَنْزَوِجَهَا . فَرَضِي أَبُوهَا ، بَعْدَ أَنْ قَامَ لَهُ التُّعْبَانُ بِأَشْيَاءَ عَجِيبَةٍ غَرِيبَةٍ وَوَعَدَهُ أَنْ يُزَوِّجَهُ ابْنَتَهُ ، وَرَضِيَتْ الْأَمِيرَةُ أَنْ يَنْزَوِجَهَا هَذَا التُّعْبَانُ ، حَتَّى لَا يُقَالَ : إِنَّ أَبَاهَا أَخْلَفَ وَعْدَهُ . فَزَالَ تَأْثِيرُ السَّحَرِ عَنْهُ ، وَرَجَعَ إِلَى صُورَتِهِ الْأُولَى ، وَهِيَ صُورَةُ إِنْسَانٍ كَمَا كَانَ . وَفِي أَثْنَاءِ وُجُودِهِ بِحُجْرَتِهَا فِي الْقَصْرِ ، قَامَتْ أَيْهَا السُّلْطَانَةُ ، بِالْقَاءِ جِلْدِهِ فِي النَّارِ ، لِنَتَخَلُّصٍ مِنْ شَكْلِ التُّعْبَانِ ، وَصُورَةِ التُّعْبَانِ ، حَتَّى لَا يَلْحَقَ ابْنَتُهَا أَيُّ شَرٍّ ، أَوْ أَدَى . سَكَتَ التَّعْلُبُ ، فَبَكَتِ الْأَمِيرَةُ ، حِينَمَا عَرَفَتْ أَنَّ الطَّيُورَ تَذْكُرُ قِصَّةَ خَطِيئَتِهَا ، وَتُبَيِّنُ مَا حَدَثَ لَهُ وَلَهَا ، وَرَجَّتِ التَّعْلُبُ أَنْ يَذْكُرَ لَهَا بَقِيَّةَ الْقِصَّةِ ، الَّتِي تُغَيِّبُهَا الطَّيُورُ ، مَاذَا أَصَابَ الْأَمِيرَ ، قَالَ التَّعْلُبُ : وَقَدْ ظَنَنْتُ أُمًّا ، الْأَمِيرَةَ ، وَلَكِنَّهَا أَسَاءَتْ إِلَيْهَا أَكْبَرَ إِسَاءَةٍ ، بِحُسْنِ نِيَّةٍ ، لِأَنَّ الْأَمِيرَ تَحَوَّلَ إِلَى طَائِرٍ أَبْيَضَ ، كَالْحَمَامَةِ الْبَيْضَاءِ ، وَصَارَ فِي حَالَةٍ يُرْقَى لَهَا . وَهُوَ الْآنَ فِي شِدَّةِ الْخَطَرِ ، وَيُخَافُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ . فَسَأَلَتْهُ الْأَمِيرَةُ : أَرْجُو أَنْ تَذْكُرَ لِي : لِمَاذَا هُوَ فِي شِدَّةِ الْخَطَرِ ؟ فَأَجَابَ التَّعْلُبُ : لِأَنَّ الْوَلَدَةَ الْأَمِيرَةَ قَدْ حَرَقَتْ جِلْدَ التُّعْبَانِ ، فَحُكِمَ عَلَى الْأَمِيرِ بِأَنْ يُمَسَّحَ ، وَيَتَحَوَّلَ إِلَى طَائِرٍ ، لِكَيْ يَهْرَبَ مِنَ الْحُجْرَةِ . فَتَحَوَّلَ إِلَى طَائِرٍ أَبْيَضَ . وَلَمَّا أَرَادَ الْخُرُوجَ مِنَ النَّافِذَةِ بِقُوَّةٍ ، كَانَ زُجَاجُهَا مُغْلَقًا ، فَكَسَرَ الزُّجَاجَ ، وَجَرَحَتْ ذِرَاعَهُ جُرْحًا بَلِيْنَا ، وَرُبَّمَا يَمُوتُ مِنْ هَذَا الْجُرْحِ . أَصْغِي يَا سَيِّدَتِي : أَلَا تَسْمَعِينَ صَوْتَ الطَّيُورِ فَوْقَ الشَّجَرَةِ ؟ إِنَّهُ صَوْتُ مُحْزَنٍ كُلِّ الْحُزْنِ : لِأَنَّ الْأَمِيرَ الْآنَ فِي أَشَدِّ حَالَاتِ الْخَطَرِ . وَلَكِنْ بِإِخْلَاصِ خَطِيئَتِهِ وَوَفَائِهَا لَهُ . وَبَحْنُهَا عَنْهُ ، وَتَفَكُّيرِهَا فِيهِ ، وَهُوَ طَائِرٌ جَرِيحٌ مُسْكِينٌ ، عَادَ أَمِيرًا كَمَا كَانَ . وَرَجَعَ إِلَى قَصْرِ أَبِيهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ فِي حَالَةٍ خَطَرٍ ، مِنَ الْجُرُوحِ الَّتِي بِذِرَاعِهِ ، الْأَخِيرَةِ ، وَقَدْ يَمُوتُ مِنْ هَذِهِ الْجُرُوحِ . فَسَأَلَتْهُ الْأَمِيرَةُ : أَلَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُخْبِرَنِي ، بِعِلَاجِهِ وَشِفَائِهِ مِنْ جُرُوحِهِ ؟ فَأَجَابَ التَّعْلُبُ : هُنَاكَ وَسِيلَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَطْ ، لِشِفَائِهِ وَعِلَاجِهِ ، أَنْ تَتِمَكَّنَ الْأَمِيرَةُ الَّتِي خَطَبَهَا ، وَأَحَبَّهَا ، وَأَخْلَصَ لَهَا الْإِخْلَاصَ كُلَّهُ ، مِنْ ذَيْلِ كُلِّ طَائِرٍ ، مِنْ تِلْكَ الطَّيُورِ الْأَرْبَعَةِ ، غِنَاءَ مُحْزَنًا ، وَتَفَرَّدُ تَغْرِيدًا مُبْكِيًا ، فَوْقَ الشَّجَرَةِ ، ثُمَّ تَذْهَبُ إِلَيْهِ بِنَفْسِهَا ، لِتَضَعَ هَذَا الرِّيشَ فَوْقَ جُرُوحِهِ . وَحْدَهُ ، يُشْفَى الْأَمِيرُ مِنْ مَرَضِهِ ، بِمَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى .

سَمِعَتِ الْأَمِيرَةُ هَذِهِ النَّصِيحَةَ ، وَقَالَتْ لَهُ : إِنَّهَا خَطِيبَةُ الْأَمِيرِ الْمُسْكِينِ ، وَقَدْ حَضَرَتْ لِلْبَحْتِ عَنْهُ ، وَالْعَمَلُ عَلَى نَجَاتِهِ ، وَإِنْقَازِهِ مِنْ تَأْثِيرِ السَّحَرِ وَالْمَرَضِ ، وَرَجَّتُهُ أَنْ يَأْتِيَ لَهَا بِرِيشَةٍ مِنْ ذِيلِ كُلِّ طَائِرٍ مِنْ هَذِهِ الطُّيُورِ الْأَرْبَعَةِ ، الْمَرِيضِ ، وَتَوْسَلَتْ إِلَيْهِ أَنْ يُسَدِّيَ إِلَيْهَا هَذَا الْمَعْرُوفَ ، وَوَعَدَتْهُ أَنْ تَعُدَّهُ عَلَى الدَّوَامِ الصَّدِيقِ الْوَفِيِّ لَهَا ، أَحْسَنَ مَكَا فَأَةً عَلَى جَمِيلِهِ . فَأَجَابَ التَّعْلَبُ : سَأَحَاوِلُ ذَلِكَ بِكُلِّ سُرُورٍ . وَلَكِنَّ الْأَمْرَ . يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ طَوِيلٍ ؛ لِأَنَّ هَذِهِ الطُّيُورَ كَثِيرَةُ الْخَجَلِ ، شَدِيدَةُ الْحَيَاءِ ، سَرِيعَةُ الطَّيْرَانِ ، إِذَا قَرُبَتْ مِنْهَا نَهَارًا ، تَرَيْنَ أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ طَلَعَتْ ، وَأَنَّ الطُّيُورَ تَرَى كُلَّ حَرَكَةٍ . فَإِذَا قَرُبْتُ مِنْهَا الْآنَ طَارَتْ وَهَرَبَتْ . وَسَنُضْطَرُّ إِلَى أَنْ نَنْتَظِرَ إِلَى الْمَسَاءِ ، حَتَّى يَنْقُضِيَ النَّهَارُ بِنُورِهِ ، وَيُقْبَلَ اللَّيْلُ بِظُلُمَتِهِ ، وَتَذْهَبَ الطُّيُورُ إِلَى عِشَاشِهَا لِلتَّنَامِ ، وَحِينَئِذٍ أَسْلُقُ الشَّجَرَةَ بِكُلِّ هُدُوءٍ ، الْأَرْبَعَةَ ، وَهُوَ فِي عُمَةٍ . قَضَتِ الْأَمِيرَةُ النَّهَارَ كُلَّهُ فِي الْغَايَةِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ، وَمَعَهَا التَّعْلَبُ الْوَفِيُّ الْحَكِيمُ ، وَأَخَذَتْ تَعُدُّ النَّهَارَ بِالسَّاعَةِ ، فَطَالَ النَّهَارُ ، وَطَالَ الْوَقْتُ ، وَبَدَأَ لَهَا أَنَّ السَّاعَاتِ تَمُرُّ بِبُطْءٍ شَدِيدٍ . وَأَخِيرًا غَرَبَتِ الشَّمْسُ ، وَأَقْبَلَ اللَّيْلُ الَّذِي تَنْتَظِرُهُ الْأَمِيرَةُ بِفَارِغِ الصَّبْرِ ، وَأَخَذَ كُلُّ طَائِرٍ يَذْهَبُ إِلَى عَيْهِ ، الطُّيُورُ الْأَرْبَعَةُ عَلَى الشَّجَرَةِ لِتَنَامَ فِي عِشَاشِهَا أَخَذَتِ الْأَمِيرَةُ وَالتَّعْلَبُ يَنْظُرَانِ إِلَى الطُّيُورِ الَّتِي فَوْقَ الشَّجَرَةِ ، وَيَنْتَظِرَانِ ذَهَابَهَا إِلَى عِشَاشِهَا لِتَنَامَ فِيهَا . وَحِينَمَا تَأْكُدُ التَّعْلَبُ أَنَّ الطُّيُورَ الْأَرْبَعَةَ ، تَرَكَتْ فُرُوعَ الشَّجَرَةِ ، وَنَامَتْ فِي عِشَاشِهَا . تَسْلُقُ الشَّجَرَةَ بِكُلِّ هُدُوءٍ ؛ حَتَّى لَا يَسْتَيْقِظَ أَيُّ طَائِرٍ ، وَلَا يَتَحَرَّكَ مِنْ عُنْهِ . وَبِسُرْعَةٍ وَمَهَارَةٍ أَخَذَ رِيشَةً مِنْ ذِيلِ كُلِّ طَائِرٍ مِنْ هَذِهِ الطُّيُورِ الْأَرْبَعَةِ الْحَزِينَةِ عَلَى الْأَمِيرِ . تُغْنِي ، وَتَذْكُرُ فِي غِنَائِهَا بِصَوْتِهَا السَّعِيرِ الْمُحْزِنِ قِصَّةَ الْأَمِيرِ وَمَا حَدَثَ لَهُ ، ثُمَّ نَزَلَ مِنَ الشَّجَرَةِ ، وَقَدَّمَ لِلْأَمِيرَةِ الرِّيشَاتِ الْأَرْبَعَ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَيْهَا لِإِعْلَاجِ الْأَمِيرِ مِنْ جُرُوحِهِ . فَقَالَتْ الْأَمِيرَةُ : أَيُّهَا التَّعْلَبُ الْحَكِيمُ ، إِنِّي أَقَدِّمُ لَكَ أَجْزَلَ الشُّكْرِ وَأَوْفَرَهُ . وَاللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى مَكَا فَاتِكَ . وَلَكِنْ أَنْسَى مَعْرُوفَكَ طُولَ الْحَيَاةِ . فَقَالَ التَّعْلَبُ : لَقَدْ قُمْتُ يَا سَيِّدَتِي بِوَاجِبِي نَحْوَ إِنْسَانٍ مَرِيضٍ عَزِيزٍ عَلَى الطُّيُورِ وَالْإِنْسَانِ ، وَلَا شُكْرَ عَلَى وَاجِبٍ . وَوَصَفَ كُلَّهَا التَّعْلَبُ قَصْرَ الْأَمِيرِ الَّذِي ذَهَبَ إِلَيْهِ ، بِكُلِّ سُرْعَةٍ ، كَمَا تَجْرِي الْفَزَالَةُ الْمُسْرَعَةُ النَّشِيطَةُ ، وَصَلَتْ إِلَى قَصْرِ الْأَمِيرِ الْجَرِيحِ ، حَيْثُ يُقِيمُ مَعَ أَبِيهِ السُّلْطَانَ . وَفِي الْحَالِ أُرْسِلَتْ إِلَى السُّلْطَانِ تُخْبِرُهُ أَنَّهَا قَدْ حَضَرَتْ لِتُعَالِجَ الْأَمِيرَ مِنْ جُرُوحِهِ ، فَاسْتَبَعَدَ الْمَلِكُ ذَلِكَ وَقَالَ : كَيْفَ تَسْتَطِيعُ فَتَاهُ أَنْ تَشْفِيَ أَمِيرًا تَحَوَّلَ إِلَى تُعْبَانٍ ، ثُمَّ رَجَعَ إِنْسَانًا كَحَالَتِهِ الْأُولَى ، وَقَدْ جَرَحَ جُرُوحًا قَاتِلَةً ، وَعَجَزَ الْأَطِبَّاءُ وَالْجَرَاحُونَ فِي الْبِلَادِ عَنْ عِلاجِهِ وَشِفَائِهِ مِنْ هَذِهِ الْجُرُوحِ؟ تَوْسَلْتَ الْأَمِيرَةَ إِلَى السُّلْطَانِ ، وَرَكَعْتَ عَلَى رُكْبَتَيْهَا ،